Journal Of the Iraqia University (75-6) March (2026)

ISSN(Print): 1813-4521 OnLine ISSN:2663-7502
Journal Of the Iraqia University
available online at: https://www.mabdaa.edu.iq

التشبيه في ادب التوقيعات

م.م ميسرة قاسم محمد جاسم
أ.د زينة عبد الجبار محمد ياسين
الجامعة المستنصرية-كلية التربية

Analogy in the literature of signatures

maisaraqassim@uomustansiriyah.edu.iq
dr.zena75@gmail.com

الملخص

يحاول البحث تسليط الضوء على ادب التوقيعات وهو ادب يحمل طابعا اداريا ويتسم بخصائص فنية، ويرتبط بالخلفاء والامراء، فضلا عن كونه وسيلة مهمة ومباشرة في توجيه سياسة الدولة، مما ميزه عن بقية فنون الادب، ولما لهذا الفن من قيمة ادبية وسياسية كبيرة، جاء البحث للكشف عن سماته الادبية والبلاغية من خلال دراسة التشبيه هذا الفن البلاغي الذي كشف عن الابعاد الفنية والجمالية للتوقيعات فضلا عن اثره في ايصال المقصود لهذا اللون الادبي .الكلمات المفتاحية : ادب التوقيعات–التوقيع–التشبيه.

Summary

The research tries to shed light on the literature of signatures, which is a literature that carries an administrative character and is characterized by artistic characteristics, and is associated with caliphs and princes, as well as being an important and direct means in directing the policy of the state, which distinguishes it from the rest of the arts of literature, and because of the great literary and political value of this art, the research came to reveal its literary and rhetorical features through the study of the analogy of this rhetorical art, which revealed the artistic and aesthetic dimensions of the signatures as well as its impact on the intended delivery of this literary color.Keywords: Signatures-Signature-Signature-Analogy.

ـالمقدمة

الحمدلله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الانبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى اله وصحبه الطيبين الطاهرين، يمثل ادب التوقيعات ظاهرة مهمة في الادب العربي، على الرغم من كونها كتب ادارية تحمل اوامر محددة الا انها اتسمت بالطابع الادبي إذ عرف عن الخلفاء والامراء عنايتهم الفائقة بهذا اللون الادبي من خلال توظيفهم للفنون البلاغية المختلفة فيه، وذلك للتأثير في نفس المتلقي وايصال قصد الموقع بلغة فنية من خلال الاساليب البلاغية، ومن الاساليب التي استعملها الخلفاء والامراء في توقيعاتهم لتحقيق هذه الغاية **(التشبيه)**، وقد جاء هذا البحث مقسما على مقدمة ومبحثين : تضمن المبحث الاول المعنون بـ **(أدب التوقيعات)** التعرف بأدب التوقيعات فضلا عن ذكر نشأة هذا الادب وانواعه، اما المبحث الثاني : فقد جاء بعنوان **(التشبيه في ادب التوقيعات)** وتضمن دراسة التشبيه في هذا اللون الادبي، ثم خاتمة بأهم النتائج التي توصل إليها البحث، ثم قائمة بالمصادر والمراجع التي اعتمدناها في كتابة البحث.

المبحث الاول : ادب التوقيعات

ـالتوقيعات في اللغة :

للتوقيع في اللغة معانٍ مختلفة، إذ وردت لفظة (التوقيع) في المعاجم، ومن المعاني اللغوية للتوقيع "إصابة المطر بعض وأخطاؤه بعضاً"[١]، والتوقيع "أثر الرحل أو الدبر على ظهر البعير"[٢].ومن معاني التوقيعات الواردة في المعاجم والتي تقترب من المعنى الادبي للتوقيع ما جاء في معجم مقاييس اللغة فيقول ابن فارس : "التوقيع ما يلحق بالكتاب بعد الفراغ منه"[٣]ونقل القلقشندي عن (حاجب النعمان) معنى التوقيع في كلام العرب، فقال : "ومعناه في كلام العرب التأثير القليل الخفيف ويقال جنب هذه الناقة موقع إذا أثرت فيه حبال الاحمال تأثيراً خفيفاً، وحكى أن اعرابية قالت لجارتها : حديثك ترويع وزيارتك توقيع، تريد أن زيارتها خفيفة"[٤]. أما سبب تسميتهُ بالتوقيع فيقال أنه : "سمي توقيعاً لأنه تأثير في

الكتاب، أو لأنه سبب في وقوع الامر وأنفاذه من قولهم أوقعت الامر فوقع"[٥]، أما القلقشندي فيرى أن اصل تمسية التوقيع من "التوقيع على حواشي القصص وظهورها كالتوقيع بخط الخليفة، أو السلطان، أو الوزير، أو صاحب ديوان الانشاء"[٦].

-التوقيعات في الاصطلاح :

للتوقيعات في الاصطلاح تعريفات كثير متناثرة في كتب القدماء والمحدثين، ونجد أن المعنى الاصطلاحي للتوقيع يقترب من المعنى اللغوي.

فذكر القلقشندي أن (التوقيع) احد اسماء صناعة الانشاء يتلفظ به عامة الناس، ويكون التوقيع بخط الخليفة، أو الوزير، أو صاحب ديوان الانشاء، أو من جرى مجراهم[٧] ، وعرفه القلقشندي بأنه "الكتابة على الرقاع والقصص بما يعتمده الكاتب من امر الولايات والمكاتبات في الامور المتعلقة بالمملكة والتحدث في المظالم"[٨] ، ويقول القلقشندي عن فضل التوقيع وأهميته "هو أمر جليل ومنصب حفيل، إذ هو سبيل الاطلاق والمنع، والوصل، والفصل، والولاية والعزل، إلى غير ذلك من الامور المهمات والمتعلقات، وأعلم ان التوقيع كان يتولاه في ابتداء الامر الخلفاء فكان الخليفة هو الذي يوقع في الامور السلطانية وفصل المظالم وغيرها"[٩]فالتوقيع يرتبط بالخليفة أو السلطان ويصدر عنه لأنه امرٌ ويجب أن ينفذ ولا يكتب التوقيع إلا من له سلطة أو من له منصب ككاتب ديوان الانشاء، ويذكر صاحب كتاب (الاقتضاب) : "أما التوقيع فأن العادة جرت أن يستعمل في كل كتاب يكتبه الملك، أو من له أمرٌ ونهيٌ في اسفل الكتاب المرفوع إليه، أو على ظهره، أو في عُرضه بإيجاب ما يُسأل أو منعه، كقول الملك ينفذ هذا ان شاء الله، أو كما يكتب الملك لتُرد إلى هذا ظلامته....."[١٠]وذكر أبن خلدون (التوقيع) في حديثه عن الرسائل وديوان الانشاء، فيقول أن : "من خطط الكتابة التوقيع، وهو أن يجلس الكاتب بين يدي السلطان في مجالس حكمه وفضله، ويوقع على القصص المرفوعة إليه احكامها، والفصل فيها متلقاه من السلطان بأوجز لفظ، وأبلغه"[١١] ويذكر أبن خلدون أن من يكتب التوقيع يحتاج إلى "عارضة من البلاغة يستقيم بها توقيعه، وقد كان جعفر بن يحيى الكاتب يوقع القصص بين يدي الرشيد ويرمي القصة إلى صاحبها، فكانت توقيعاته تنافس البلغاء في تحصيلها للوقوف فيها على اساليب البلاغة وفنونها، حتى قيل انها كانت تباع كل قصة منها بدينار"[١٢]أما المحدثين فقد اتفقوا مع القدماء في معنى التوقيع، فيعرفها الدكتور شوقي ضيف بأنها "عبارات موجزة بليغة تعود ملوك الفرس ووزراؤهم أن يوقعوا بها على ما يُقدم إليهم من تظلمات الافراد في الرعية، وشكاواهم، وحاكاهم خلفاء بني العباس ووزراؤهم في هذا الصنيع، وكانت تشيع في الناس ويكتبها الكتاب ويتحفظونها"[١٣].ويعرف الدكتور صالح هاشم مناع التوقيعات في كتابه (التوقيعات في الادب العربي) بأنه "تعليقٌ او رأي الحاكم يوقعه في كتاب، أو رسالة، أو رقعة، أو ما شابه ذلك من ورق، أو جلد، أو غيره، وردت من والٍ، أو قاضٍ، أو مسؤول يخبره فيها عن مسألة من مسائل الامة، أو يطلب منه البت في موضوع من الموضوعات،.....، والتوقيع يكون للتنفيذ لا للحفظ ويجري مجرى القرار أو القانون"[١٤]، اي انها كتب ادارية اتسمت بطابع ادبي وعلى الرغم من ارتباط التوقيعات بديوان الانشاء، والتظلمات، وأنها تجري بمجرى القانون، إلا انها جنس ادبي نثري، فهو "ضرب من ضروب التعبير الانساني العام، تعاطته أمم مختلفة منذ ازمنة سحيقة، فقد عرفت هذا اللون من الادب شعوب العالم القديم، كالفرس، واليونان، والهنود، والصينيين، وغيرهم، فكان عظماؤهم يعلقون في اسافل الرسائل المرفوعة إليهم، أو على ظهورها، أو بين سطورها تعليقات موجزة متضمنة رداً مناسباً على ما اشتملت عليه كل واحدة من هذه الرسائل"[١٥].

-ادب التوقيعات من النشأة حتى الاندثار :

نشأ هذا الفن مع ذيوع الكتابة في العصر الاسلامي، إذ تهيأت في هذا العصر الظروف الملائمة لنشأة هذا الجنس النثري، من انتشار الكتابة ، فضلاً عن توسع الدولة الاسلامية والذي أدى بدورهِ إلى نشأة فن الرسائل، فبعث الرسول (ص) رسائله للملوك والرؤساء يدعوهم فيها للدخول في الاسلام، واعتمد عليها الخلفاء الراشدون في تبليغ اوامرهم وتوجيهاتهم للقادة، والقضاة، والولاة، خصوصاً بعد اتساع رقعة الدولة الاسلامية فحين "ارسى الاسلام قواعد الدولة في المجتمع العربي الجديد، برزت الحاجة إلى الكتابة في مجالات كثيرة،....وكانت هنالك حاجة إلى كتابة الرسائل باستمرار ما بين الخليفة وامراء جنده اولاً، ثم بينه وبين عماله الاداريين في الامصار المختلفة وفي شتى الشؤون التي تهم الدولة والرعية"[١٦]، مما أدى إلى الحاجة لمهر الكتب والرسائل بين الخلفاء والولاة والقادة للاطلاع على امور الدولة، وهذا بدوره مهد لنشأة التوقيعات[١٧]، ثم تطورها في العصر الاموي وازدهارها في العصر العباسي.فارتبطت التوقيعات منذ نشأتها بالخلفاء والوزراء، وحملت قيمة سياسية لكونها أحدى الوسائل المباشرة لتوجيه سياسة الدولة، وأول من استعمل التوقيعات في تاريخ الادب العربي والتاريخ الاسلامي، الخليفة ابو بكر الصديق (رضي الله عنه)، إذ "بعث إليه خالد بن الوليد (رضي الله عنه) من دومة الجندل يستأمره في أمر العدو، فوقع إليه : **أدنُ من الموتِ تُوهب لك الحياة**"[١٨].زاد الاهتمام بالتوقيعات مع بداية العصر الاموي ، وكثر عددها إذ لم تعد مقتصرة على الخلفاء فقط بل اخذ يتعاطها الخلفاء والامراء، والقادة، والكتاب، مما ادى إلى ترسخها في هذا العصر، واتضاح ميزاتها الفنية، فأصبحت متداولة، واتسعت مادتها، وتعددت انماطها[١٩]ومع العصر العباسي بلغت

التوقيعات اوج ازدهارها ، إذ شهدت عناية كبيرة، وتأسس في هذا العصر (ديوان التوقيع) الذي نظم شؤون هذا الفن وأسند العمل فيه لبلغاء الكُتاب والادباء ممن عرفوا ببلاغة القول، وحسن التأتي، والمعرفة بمقاصد الاحكام، وتعددت فئات الموقعين، فأصبح شائعاً بين الكُتاب، واللغويين، والفقهاء، والنساء، واتسعت موضوعاته وانزاحت عن الامور الادارية والسياسية للدولة[٢٠]، وتفنن الكُتاب بتوقيعاتهم حتى اصبحت تُباع، إذ كان البلغاء "يتنافسون في تحصيل توقيعات جعفر بن يحيى الذي كان يلي ديوان التوقيع للخليفة هارون الرشيد، ليقفوا منا على اساليب البلاغة وعلومها، حتى قيل : انها كانت تباع كل توقيع بدينار"[٢١]فاصبح للتوقيع مكانة كبيرة، ويصف صاحب مواد البيان منصب صاحب التوقيع أو من يقوم بالتوقيع "هو الوزير ونائبه، ومتولي العرض على الخليفة إذا غاب، وإذا لم يكن للسلطان وزير منصوب فالموقع يدخل مدخاه"[٢٢] ويعود السبب في ازدهارها خلال هذا العصر إلى التطور الذي ادخله الكُتاب الفرس على الفن النثري الديواني، إذ "تعدى اثر الفرس في التوقيعات المناحي الموضوعية إلى المناحي الاسلوبية ايضاً، ولعل اهم ظواهر التطور التي اصابت التوقيعات من جهة الفرس توسع الموقعين في بسط المعاني بسطاً يخرج بها عن حد الايجاز إلى الاطناب"[٢٣]إذ كُسيت التوقيعات حلية، وزركشة، ومادتها وفيرة، ومتنوعة، على العكس من توقيعات العصر الاسلامي والاموي، إذ كان اسلوب التوقيعات في هذين العصرين "غير متكلف، جزل الالفاظ سهل، ليس فيه تصنع، إنما اقتصر المعنى على الإلمام بالحقائق وتوضيحها بلا مبالغة"[٢٤]وكان للأندلسيين عناية وافرة بالتوقيعات، فلم تقتصر التوقيعات على المشرق فقط، إذ خلف الاندلسيون جملة من التوقيعات التي كان لها طابع خاص ومميز[٢٥] وعلى الرغم من ازدهار هذا الفن في العصر العباسي إلا انه بدأ بالتدهور والاضمحلال حتى التلاشي مع نهاية العصر، فبعد سقوط بغداد (٦٥٦) بدأ هذا الفن بالتراجع والتلاشي، على الرغم من أن ديوان التوقيع ظل قائما في دويلات لم تصل إليها إيدي المغول، ففي القاهرة ظل التوقيع قائما حتى تلاشى هذا الفن، وكما نشأ لأسباب سياسية ثم تطور وازدهر، تدهور وتلاشى لأسباب سياسية ايضاً[٢٦].

-موضوعات التوقيعات :

لم تعالج التوقيعات موضوعا واحداً فحسب، بل تنوعت مضامين التوقيعات، واتسعت موضوعاتها نتيجة لتطور وازدهار هذا الفن، وفضلا عن تنوع القصص والرقاع التي كانت ترفع للخليفة كتظلمات الرعية، وامور الدولة السياسية وغيرها، ويمكن تقسيم موضوعاتها إلى :

اولا-التوقيعات السياسية :

احتل المضمون السياسي مساحة واسعة من التوقيعات، فكانت تُرفع للخليفة الرقاع والقصص، التي تخص امور الدولة، والولايات والحروب، مثل توقيع الخليفة ابي بكر الصديق (رضي الله عنه) لخالد بن الوليد (رضي الله عنه)، إذ "بعث إليه خالد بن الوليد (رضي الله عنه) من دومة الجندل يستأمره في أمر العدو، فوقع إليه : **أدنُ من الموتِ تُوهب لك الحياة**"[٢٧]وغالبا ما كانت تتضمن التوقيعات السياسية التهديد والوعيد، مثل توقيع الخليفة الاموي عمر بن عبد العزيز بن مروان، إذ وقع إلى الوليد بن عبد الملك، وهو عامله في المدينة "**الله اعلم انك أنك لست أول خليفة يموت**"[٢٨] ومن توقيعات الخلفاء الامويين ذات المضمون السياسي، توقيع الخليفة هشام بن عبد الملك بن مروان لعامله على العراق في امر الخوارج "**ضع سيفكَ في كلام النار، وتقرب إلى الله بقتلِ الكفار**"[٢٩]، فنلاحظ أن هذا التوقيع حمل في طياته توجيها سياسياً من الخليفة بقتل الخوارج.

ثانيا-تظلمات الرعية :

يعد الرد على المتظلمين من ابرز الموضوعات التي تناولتها التوقيعات، إذ كان المتظلمون يبعثون الرقاع للوالي أو الخليفة، لرفع الظلم والأذى الذي وقع عليهم، مثل توقيع الخليفة عمر بن عبد العزيز بن مروان، إذ وقع على رقعة رجل تظلم من ابنه "**إن لم انصفك منه فأنا ظلمتك**"[٣٠]. وكان اساس التوقيعات أو الرد على المتظلمين العدل، وإنصاف المظلومين، مثل توقيع الخليفة هشام بن عبد الملك بن مروان في قصة قوم شكوا أميرهم "**إن صح ما ادعيتم عليه عزلناه، وعاقبناه**"[٣١]ومن ذلك توقيع المأمون، في قصة مُتظلم من حميد الطوسي "**يا أبا حامد لا تتكل حُسن رأيي فيك، فأنك وأحد رعيتي عندي في الحق سواء**"[٣٢].

ثالثا-الاخوانيات :

تناولت التوقيعات موضوع الاخوانيات، وتمثل هذا الغرض بما كان يكتب في باب العتاب، والشكر، والدعاء، والاعتذار ، من ذلك توقيع المنصور إلى عبدالله بن علي عمه "**لا تجعل للأيام فيّ وفيك نصيباً من حوادثها**"[٣٣]، ويريد بهذا العتاب حفظ اواصر المحبة والقر بينهم. ومن ذلك توقيع الوزير جعفر بن يحيى البرمكي معاتباً احد ندمائهِ "**لا تبعد عمن ضمك**"[٣٤]. ومن توقيعات الشكر، توقيع الصاحب في كتاب العميدي قاضي قزوين، فأهدى العميدي إلى الصاحب كتباً وكَتَبَ معها :

العميدي عبد كافي الكفات وأن اعتد في وجوه قاضي القضاة

خدم المجلس الرفيع بكتب منعمات من حسنها مترعات

فوقع الصاحب تحتها :

قد قبلنا من الجميع كتاباً وردنا لوقتها الباقيات

لست استغنم فطبعي قول خذ ليس مذهبي قول هات[٣٥].

وجاءت بعض التوقيعات في المدح، من ذلك توقيع المأمون للفضل بن هارون يمدحه ويثني عليه "اغنيت يا فضل بن سهل بمعاونتك اياي على طاعة الله، وإقامة سلطاني، فرأيت أن اغنيك، وسبقتَ الناس من الحاضر كان لي، والغائب كان عني، فأحببت أن اسبق إلى الكِتاب لك بخطي، بما رأيتهُ على نفسي، وانا اسأل الله تمامه، فأن حولي وقوتي ومقدرتي وقبضتي وبسطي به لا شريك له،....."[٣٦].

المبحث الثاني : التشبيه في ادب التوقيعات

يعد التشبيه أهم الفنون البلاغية وأكثرها دوراناً في اللسان العربي، وقد أشار ابن وهب الكاتب لأهميته بقوله:" وأما التشبيه فمن أشرف كلام العرب، وفيه تكون الفطنة والبراعة عندهم، وكلما كان بالشعر أعرف، وكلما كان إلى المعنى أسبق كان بالحذف أليق"(٣٧)، أي أنّ التشبيه وسيلة بلاغية تظهر براعة المتكلم، ودقة توظيفه لهذا الفن، وقد زخرت لغة العرب بكثرة التشبيهات، حتى قال المبرد في هذا المضمار، أنّ التشبيه من أكثر الفنون دوراناً في لسان العرب حتى لو ذكر أحدهم أنّ التشبيه أكثر الفنون في اللغة العربية لعد صادقاً(٣٨)، أي أنّ هذا الفن أكثر الفنون التي دارت في لسان العرب لما يؤديه من وظائف جليله، وقد أكثر العلماء من ذكر هذا الفن والإشارة لوظائفه الجليلة إذ "اتفق العقلاء على شرف قدره، وفخامة أمره في فن البلاغة، وأنّ تعقيب المعاني به يضاعف قواها في تحريك النفوس إلى المقصود بها مدحاً كانت أو ذماً أو افتخاراً أو غير ذلك"(٣٩)، لهذا جاء ادب التوقيعات محملا بهذا الفن في عباراته الموجزة لما له من ار عميق وقدرة كبيرة على ايصال قصد الموقع.وللتشبيه تقسيمات متعدد حسب القاعدة التي يتم التصنيف عليها:

١. **التقسيم حسب الأطراف:** فتارة نقسم حسب نوع الأطراف: فيكون تشبيه طرفاه حسيان، أو تشبيه طرفاه عقليان، او تشبيه مختلط طرف حسي وطرف عقلي(٤٠)، وتارة نقسمه على إفراد وتعدد الأطراف، فيكون مفرد، ومتعدد(٤١)، وتارة على إفراد الأطراف وتركيبها: فأن كانت الأطراف مفردة فهو متعدد، وإن كان الطرف مأخوذ من كثرة جامعة فهو تمثيلي (٤٢).

٢.**التقسيم وفق الحذف:**جملة التشبيه تتألف من أربعة أركان ركنين لا يجوز حذفهما: إلا وهما الطرفين، وركنين يجوز حذفهما: وجه الشبه، والأداة: فلو حذف وجه الشبه فالتشبيه يكون مجمال، ولو بقي وجه الشبه فالتشبيه يكون مفصلا(٤٣)، أما لو حذفت الأداة فهو تشبيه مؤكد، ولو بقيت الأداة فهو تشبيه مرسلا(٤٤)، أما لو حذف كل من وجه الشبه والأداة فهو تشبيه بليغلا (٤٥)، فهذا النوع من التصنيف يعتمد على مبدأ حذف الأجزاء غير الأساسية في أركان التشبيه.

ومن نماذج التشبيه التي وردت في ادب التوقيعات:

"**يحاسبون كما يرزقون**" [٤٦]يعود هذا التوقيع لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) وقد سأله سلمان الفارسي عن كيف يحاسب الناس يوم القيامة، فمن خلال التوظيف البلاغي نلاحظ استدعاء أسلوب التشبيه المجمل(٤٧)، فالجملة أعلاه خلت من وجه الشبه، أي أنّ الشاهد الذي ذكره الإمام علي(عليه السلام)، في توضيح المعنى فقد ذكر مثالا حيا من الدنيا ليصف حال الآخرة، فالحق سبحانه يرزق العباد جميعا في الدنيا، وهو القادر على حسابهم يوم القيامة وهذا التوظيف دلّ على: "دقة ملاحظة الأشباه والنظائر في الأشياء سواء اكانت ماديات تدرك بالحواس أو معنويات حتى الفكريات المحض"(٤٨)، فمعاني التشبيه المستعملة في الشاهد السابق من العقليات، ولكن الدلالة قد قربت المعنى ورسخته في ذهن السائل.

ومن شواهد التشبيه في التوقيعات ما ورد في توقيع الرشيد :"**أهل استحييت لشيخ ولده المنصور أن يهرب عمن ولدته كندة وطيء، فهلا قابلتهم بوجهك، وأبديت لهم صفحتك، وبذلت لهم منحتك، وكنت كمروان ابن عمك إذ خرج مصلتا سيفة**" (٤٩)وقعه الخليفة لعامله على دمشق سليمان بن محمد وقد ذكر له وثوب أهل دمشق عليه، ونلاحظ في التوقيع السابق استدعاء الخليفة لشخصية الخليفة الأموي مروان بن محمد، وهو آخر خلفاء بني أمية إذ قتل على يد العباسيين، ولكن الموقف الذي ذكر خروجه للقتال، ومن الجدير بالذكر استعمال الخليفة لتشبهي التمثيل، إذ أراد تشبيه الوالي العباسي بالخليفة الأموي: وبحالة خاصة هي خروجه لملاقاة العدو شاهراً سيفة، فوجه الشبه فيه: "صورة منتزعة من متعدد امرين أو أمور"(٥٠)، فلا يمكن الفصل بين أجزاء جملته، فالخليفة يعرّض بالوالي بشكل مباشر، ويلومه لعدم اتخاذ مثالا في الشجاعة في مواجهة الموت والملاحظ أنّ جملة التشبيه قصدت التشبيه في مروان بن محمد في موقف واحد وهو خروجه لمواجهة المسودة رافعاً السيف عازما على الحرب

والخليفة لجأ لتوظيف أسلوب التشبيه لتعظيم الموقف في عين الوالي في ذم الجبن وهي من الوظائف التي يؤديها التشبيه: " إنّ تعقيب المعاني به يضاعف قواها في تحريك النفوس إلى المقصود بها مدحاً كانت أو ذماً"(٥١)، وإنّ التشبيه التمثيلي يكون أكثر بياناً ووضوحاً في تأدية الغرض البلاغي، لكونه جملة مركبة تستوجب اعمال الفكر من أجل إيضاح المقصود، ومن الخصائص التي يفيدها التشبيه انسحاب صفات من المشبه على المشبه به، أو منحه تأثيراً نفسياً من المشبه يلحق للمشبه به (٥٢)، وهذه من الغايات التي رام الخلفية ايصالها للوالي من خلال توظيف التشبيه.ومن امثلة التشبيه في التوقيعات الشعرية ما وقعه الخليفة عبدالله بن محمد المرواني(٥٣):

أنت يا نضر آبدة ليس ترجى لفائدة

إنما أنت عدّة لكنيف ومائدة

إذ جاءه كتاب من وزيره النضر بن سلمه، فلم يعجبه الرأي فوقع عليه هذا التوقيع٥٤، وقد استعمل التشبيه البليغ في البيتين أعلاه مرتين:(يا نضر ابدة)، فهو تشبيه بليغ اذ اعتبر الوزير نضر ابدة أي وحش(٥٥)، وقد استعمل التشبيه البليغ لما يفديه من تساوي المشبه مع المشبه به في صفة التوحش، كذلك استعمل التشبيه البليغ مرة أخرى في قوله (انت عدة)، وهو تشبيه مؤكد، اي تساوي المشبه والمشبه به في الصفات وحذف الأداة التي تعد الفاصل بين المشبه والمشبه به وتجعل الصفة مقاربة(٥٦)، فالتحول الذي حصل بحذف الأداة غير الجملة من المقاربة لصفة الانطباق أو التساوي فجعل المشبه والمشبه به طرفاً واحداً.ومن نماذج التشبيه في التوقيعات الشعرية ايضا :

"**إذا كان مولانا يساويه عندنا .... سواه فمولانا كآخر أجنبي**"(٥٧).

إذ وقع عبد الله بن محمد المرواني بهذا البيت الشعري، وكان والده قد قدم الموالي الشاميين على البلديين أي الوافدين من الشام على أهل الأندلس(٥٨)، فالخليفة في توقعيه أراد الإشارة لمخالفته لسيرة والده، فيعمل على المساواة بين الموالي، فالتشبيه التام بين مولاه، والآخر، بواسطة الأداة (الكاف)، ووجه الشبه هو التساوي، فأسلوب التشبيه عزز الرؤية العامة للخليفة بأنه لا يفرق بين الموالي، فمن كان من قريش أو غيرهم، فكلهم من الرعية، واللافت للنظر أنّ الخليفة قد أحال الى وجه شبه متقدم في البيت، وهو التساوي، وهو خلاف الصورة المعهودة للتشبيه، أي عادة يكون وجه الشبه متأخر في الجملة.ومن امثلة التشبيه في توقيعات المأمون :

"**يا أبا محمد النبيذ بساط يطوي بما كان عليه، ولا ينشر**" (٥٩).وهو من توقيعات الخليفة المأمون لليزيدي، بعد أن حضر الأخير مجلس شرب للمأمون وأكرهه الخليفة على الشرب فلما سكر حدث الخليفة بما لا يليق به، ولما عاد لبيته وصحا من السكر كتب للمأمون يلتمسه العذر(٦٠)، فوقع له المأمون في الصفح، والتمس له العذر، وقد استعمل التشبيه المؤكد، وهنا بحذف الأداة إشارة للتساوي بين الطرفين: فالنبيذ بساط، ووجه الشبه إمكانية الطي: أي اخراج ما لا يعرف بالبديهة إلى ما يعرف بها(٦١)، والخليفة هنا يستعمل قدرته البلاغية في محاولة أقناع المتلقي بالصفح والتشبيه بطبعه يعد وسيلة للإقناع "بفكرة من الأفكار، وهذا الأقناع قد يصل الى مستوى إقامة الحجة البرهانية.....وقد يقتصر على لفت النظر إلى الحقيقة عن طريق صورة مشابهة" (٦٢)، فحمل التشبيه معنى الصفح فضلا عن اخبار الخليفة للموقع له بأن الأمر خارج عن حدود السيطرة، وقد استعمل التشبيه للإفادة من قدرته الإيحائية فضلا عن أثره النفسي في ذهن المتلقي.ومن نماذج التشبيه في توقيعات المأمون ايضا : "**أننا نرى قبول السعاية شر من السعاية؛ لأن السعاية دلالة، والقبول إجازة، وليس من دلّ على شيء كمن قبله، واجازه**" (٦٣).وهو من توقيعات الخليفة المأمون على رقعة سعى بها أحد عماله وهو صاحب البريد بهمذان أتهم الساعي الذي كان قبله بأنه تعاون مع آخر على سرقة مئتي ألف درهم من بيت المال واقتسماها: فوقع المأمون معرضاً بالسُعاة(٦٤)، ونلاحظ أن إشارة الخليفة إشارة دقيقة، فالساعي وأن تحمل الأثم إلا أن ولي الأمر هو من يقوم بالفعل وعليه جنايته فرفض هذا الأمر مشيرا لكون الدال ليس كالفاعل وإن اشتركا في أساس الجرم: فالتشبيه المجمل الذي استعمله الخليفة إشارة لعظيم الذنب، فلم يحدد وجه الشبه تاركاً للمتلقي فهم الكلام بما يتلاءم معه، فقبول الخليفة يترتب عليه عقوبة وقد يظلم بها إنسان: فالتشبيه عقد المقارنة بين طرفين مشيراً لأمر مهم وهو تحمل الثاني جريرة دلالة الأول، وبهذا إشارة خفية للتشبيه فالمشبه به، تكون الصفة به ابرز وأقوى، وهو هنا إشارة للخليفة، فقد قارب الغرض البلاغي الغرض المعنوي من الأمر .ومن امثلة التشبيه في التوقيعات الاندلسية:" **لوما رأيناك قد تذرعت بإظهار اتقاء الله رأينا أنّ نعرض عليك أولاً ما لا بدّ لك منه آخراً، وليس من أطاع بالمقال، كمن اطاع بعد الفعال**"(٦٥)وهو من توقيعات عبد الرحمن الناصر من خلفاء الأندلس وكانت مناسبة التوقيع جواباً على أحد الخارجين عليه وقد امتنع عن الناصر بأحد حصون الأندلس وأعلن العصيان فوقع إليه الناصر بهذا التوقيع(٦٦)، فنلاحظ نبرة التهديد في هذا التوقيع أو كما يقال بأنه وعد باطنه الوعيد : فيقول بأن الخروج على الطاعة معصية لله إذ شق صف الجماعة، ثم يشير أنّ من أطاع بالقول ليس كمن أطاع بعد الفعل، والمعنى لو عاد للطاعة قبل الحرب لامكن التوبة أو الصفح، ولكن لو جرى العكس فلن يكون هنالك توبة، ونلاحظ استعمال الخليفة أسلوب التشبيه المجمل(٦٧)،فلم يظهر

وجه الشبه، وبهذا فلم يحدد نوع العقوبة بل تركها مبهمة تارك للمتلقي اختيار ما يناسبه منها، وتقرير موقفه إزاء ما تتوفر له من معطيات، فهو كان عارفاً بسيرة الناصر قبل الحرب، ويتوقع ما يجري منه بعدها، والخليفة قد أشار لأمر بأن الفعل أقوى من القول، فلو وصلنا لهذه المرحلة لما أمكن العودة بعدها.

الخاتمة

توصلنا في نهاية البحث إلى مجموعة من النتائج:

-مثلت التوقيعات ظاهرة مهمة في الادب العربي على الرغم من كونها كتب ادارية، إلا انها حملت سمات ادبية إذ عمد الموقعون إلى استعمال فنون ادبية وبلاغية في ادب التوقيعات مما جعله جسنا ادبيا.

-اتسمت بعض التوقيعات بالقصر والايجاز فضلا عن اعتماد الموقعين على عوامل خارجية في احداث التأثير النفسي لدى الموقع له من هذه العوامل معرفة الموقع له بهيبة صاحب التوقيع وعزمه على امضاء الامور.

-مثل التشبيه احد اهم الفنون البلاغية التي استعملها الموقعون على اختلاف العصور إذ نجد أن التشبيه قد ورد في التوقيعات باختلاف انواعها سواء أكانت توقيعات الشعرية او النثرية وعلى مّر العصور مما يدل على ثقافة الموقع وقدرته على ايصال قصده بلغة فنية ادبية.

-اكثر نوع تشبيه استعمله الموقعون هي المجمل لكون حذف وجه الشبه يحقق ميزة الايجاز للتوقيع إذ ان حذف وجه الشبع يعطي المتلقي فرصة للتأويل او الحصول على النتيجة، في حين كان التشبيه التام اقل الانواع حضورا لكون اقل تأثيرا في المتلقي.

المصادر والمراجع :

-الاقتضاب في شرح ادب الكتاب، ابي محمد بن السيد البطليوسي،تح : محمد باسل، دار الكتب العلمية-بيروت،ط١، ١٩٩٩م

-الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، الخطيب القزويني، وضع حواشيه ابراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية-بيروت، ط١ ٢٠٠٣م

-الإيضاح في علوم البلاغة في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، الخطيب القزويني، وضع حواشيه ابراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية-بيروت، ط١ ٢٠٠٣م

-البرهان في وجوه البيان، ابن وهب الكاتب، تح : الدكتور احمد مطلوب، الدكتورة خديجة الحديثي، الناشر جامعة بغداد، ١٩٦٧م

-البلاغة العربية أسسها علومها وفنونها، عبد الرحمن حسن حبنكة الميدامي، دار القلم -دمشق، ط١، ١٩٩٦م

-البلاغة العربية تأصيل وتجديد، مصطفى الصاوي الجويني، منشاة المعارف بالإسكندرية، مصر، ١٩٨٥م.

-البلاغة العربية في ثوبها الجديد، بكري الشيخ أمين، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٨٢م،

-التعبير البياني رؤية بلاغية نقدية، د.شفيع السيد، مكتبة الشباب، د ت

-التوقيعات الأندلسية، صلاح محمد جرار، محمد محمود الدروبي، منشورا جامعة آل البيت، ٢٠٠٠م

-التوقيعات في الادب العربي، د.هاشم صالح مناع، دار يافا للنشر-عمان، ط١، ٢٠٢٢م

-الكامل في اللغة والأدب، ابي العباس المبرد، علق عليه محمد ابو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي-القاهرة، ط٣ ١٩٩٧م

-المفصل في علوم البلاغة العربية المعاني والبيان والبديع، دعيسى علي العاكوب،د ط، د ت

-تاريخ الادب العربي العصر العباسي الاول، د.شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط٨، د.ت

-تاريخ الترسل النثري في صدر الاسلام، د. محمود المقداد، دار الفكردمشق، ط١، ١٩٩٣م

-جمهرة توقيعات العرب، د.محمد محمود الدروبي، د.صلاح محمد جرار، مركز زايد للتراث والتاريخ-الامارات، ط١، ٢٠٠١م

-صبح الاعشى في صناعة الإنشا، الشيخ ابي احمد القلقشندي ت ٨٢١هـ، دار الكتب المصرية، القاهرة، د.ط، ١٩٢٢م

-علم البيان، د.عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية-بيروت، ١٩٨٥م

-فنون بلاغية البيان-البديع، د.احمد مطلوب، دار البحوث العلمية-الكويت، ١٩٧٥م

-لسان العرب، ابن منظور ت ٧١١هـ ، تصحيح : أمين الحاج محمد عبد الوهاب، محمد الصادق العبيدي، دار احياء التراث، بيروت-لبنان، ط ٣، ١٩٩٩م

-مدخل الى البلاغة العربية علم المعاني-علم البيان-علم البديع، د.يوسف ابو العدوس، دار المسيرة للنشر والطباعة، ط١، ٢٠٠٧م.

-معجم العين، الخليل بن احمد الفراهيدي ت ١٧٠هـ ، تح : عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٢م
-مقاييس اللغة، ابي الحسن احمد بن فارس بن زكريا ت ٣٩٥هـ، تح : عبد السلام هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د.ط، ١٩٧٩م
-مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، شرح وتعليق : د.علي عبد الواحد وافي، دار نهضة مصر للنشر، ط٧، ٢٠١٤م
-مواد البيان ، علي بن خلف الكاتب ت ٤٣٧هـ، تح : د. حاتم صالح الضامن، دار البشائر-دمشق، ط١، ٢٠٠٣م
-الرسائل والدوريات
-أدب التوقيعات في المشرق، خالدة ناجي معروف، رسالة ماجستير، كلية الآداب-جامعة بغداد، ١٩٧٦م
-الرسائل الفنية في العصر العباسي حتى نهاية القرن الثالث الهجري، محمود محمد الدروبي، اطروحة دكتوراه، الجامعة الاردنية-كلية الدراسات العليا، ١٩٩٦م

هوامش البحث

(١) لسان العرب، ابن منظور ت ٧١١هـ ، تصحيح : أمين الحاج محمد عبد الوهاب، محمد الصادق العبيدي، دار احياء التراث، بيروت-لبنان، ط ٣، ١٩٩٩م، ج ٥، مادة (وقع).

(٢) معجم العين، الخليل بن احمد الفراهيدي ت ١٧٠هـ ، تح : عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٢م، ج٤، مادة (وقع).

(٣) مقاييس اللغة، ابي الحسن احمد بن فارس بن زكريا ت ٣٩٥هـ، تح : عبد السلام هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د.ط، ١٩٧٩م، ج ٦، مادة (وقع).

(٤) صبح الاعشى في صناعة الإنشا، الشيخ ابي احمد القلقشندي ت ٨٢١هـ، دار الكتب المصرية، القاهرة، د.ط، ١٩٢٢م، ج١ : ٥٢.

(٥) المصدر نفسه : ١٤٢.

(٦) صبح الاعشى، ج١ : ٥٢.

(٧) ينظر : المصدر نفسه: ٥٢.

(٨) المصدر نفسه: ١١٠.

(٩) المصدر نفسه: ١١٠-١١١.

(١٠) الاقتضاب في شرح ادب الكتاب، ابي محمد بن السيد البطليوسي،تح : محمد باسل، دار الكتب العلمية-بيروت،ط١، ١٩٩٩م ج ١ : ١٤٢.

(١١) مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، شرح وتعليق : د.علي عبد الواحد وافي، دار نهضة مصر للنشر، ط٧، ٢٠١٤م، ج٢: ٦٤٨.

(١٢) المصر نفسه، ج٢ : ٦٤٨.

(١٣) تاريخ الادب العربي العصر العباسي الاول، د.شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط٨، د.ت : ٤٨٩.

(١٤) التوقيعات في الادب العربي، د.هاشم صالح مناع، دار يافا للنشر-عمان، ط١، ٢٠٢٢م : ٢٠.

(١٥) جمهرة توقيعات العرب، د.محمد محمود الدروبي، د.صلاح محمد جرار، مركز زايد للتراث والتاريخ-الامارات، ط١، ٢٠٠١م، المقدمة.

(١٦) تاريخ الترسل النثري في صدر الاسلام، د. محمود المقداد، دار الفكردمشق، ط١، ١٩٩٣م:٢٠.

(١٧) ينظر : التوقيعات في الادب العربي : ٢٣-٢٧.

(١٨) جمهرة توقيعات العرب : ٢٥.

(١٩) ينظر :المصدر نفسه : ٦

(٢٠) ينظر : المصدر نفسه : ٧.

(٢١) التوقيعات في الادب العربي : ٣٢.

(٢٢) مواد البيان ، علي بن خلف الكاتب ت ٤٣٧هـ، تح : د. حاتم صالح الضامن، دار البشائر-دمشق، ط١، ٢٠٠٣م : ٥٠.

[٢٣]() الرسائل الفنية في العصر العباسي حتى نهاية القرن الثالث الهجري، محمود محمد الدروبي، اطروحة دكتوراه، الجامعة الاردنية–كلية الدراسات العليا، ١٩٩٦م : ٦٩.

(٢٤) أدب التوقيعات في المشرق، خالدة ناجي معروف، رسالة ماجستير، كلية الآداب–جامعة بغداد، ١٩٧٦م : ٣٥.

(٢٥) جمهرة توقيعات العرب : ٨.

[٢٦]() ينظر : التوقيعات في الادب العربي : ٣٦–٣٩.

(٢٧) جمهرة توقيعات العرب : ٢٥.

[٢٨]() المصدر نفسه : ٤١.

(٢٩) المصدر نفسه : ٤٦.

(٣٠) المصدر نفسه : ٤٣.

(٣١) المصدر نفسه : ٤٦.

[٣٢]() المصدر نفسه : ٨٧.

(٣٣) المصدر نفسه : ٦٢.

(٣٤) المصدر نفسه : ٢٩٨.

(٣٥) المصدر نفسه : ٣٨٩.

(٣٦) المصدر نفسه : ١٠١.

[٣٧]() البرهان في وجوه البيان، ابن وهب الكاتب، تح : الدكتور احمد مطلوب، الدكتورة خديجة الحديثي، الناشر جامعة بغداد، ١٩٦٧م : ١٣٠.

(٣٨) الكامل في اللغة والأدب، ابي العباس المبرد، علق عليه محمد ابو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي–القاهرة، ط٣ ١٩٩٧م: ٨١٨/٣.

[٣٩]() الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، الخطيب القزويني، وضع حواشيه ابراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية–بيروت، ط١ ٢٠٠٣م:١٦٤.

(٤٠) ينُظر: المفصل في علوم البلاغة العربية المعاني والبيان والبديع، دعيسى علي العاكوب،د ط، د ت: ٣٥٧–٣٥٨.

[٤١]() ينُظر: البلاغة العربية في ثوبها الجديد، بكري الشيخ أمين، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٨٢م:٣٥.

[٤٢]() ينُظر: المصدر نفسه: ٣٥.

[٤٣]() ينُظر: مدخل الى البلاغة العربية علم المعاني–علم البيان–علم البديع، د.يوسف ابو العدوس، دار المسيرة للنشر والطباعة، ط١، ٢٠٠٧م :١٤٥.

(٤٤) ينُظر: البلاغة العربية في ثوبها الجديد،:٤٢.

[٤٥]() يُنظر: البلاغة العربية تأصيل وتجديد، مصطفى الصاوي الجويني، منشاة المعارف بالإسكندرية، مصر، ١٩٨٥م: ٨٥.

[٤٦]() جمهرة توقيعات العرب: ٢٩.

[٤٧]() ينُظر: مدخل الى البلاغة العربية:١٤٦.

(٤٨) البلاغة العربية أسسها علومها وفنونها، عبد الرحمن حسن حبنكة الميدامي، دار القلم –دمشق، ط١، ١٩٩٦م: ١٦٥/٢.

(٤٩) جمهرة توقيعات العرب : ٧٥.

[٥٠]() علم البيان، د.عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية–بيروت، ١٩٨٥م: ٨٦.

[٥١]() الإيضاح في علوم البلاغة في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، الخطيب القزويني، وضع حواشيه ابراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية–بيروت، ط١ ٢٠٠٣م: ١٦٤.

[٥٢]() ينُظر: التعبير البياني رؤية بلاغية نقدية :٣٨.

(٥٣) التوقيعات الاندلسية، صلاح محمد جرار، محمد محمود الدروبي، منشورا جامعة آل البيت، ٢٠٠٠م: ١٢١.

(٥٤) ينظر المصدر نفسه: ١٢١.

(٥٥) ينُظر: مقاييس اللغة : ٣٤/١

[٥٦]() ينُظر: البلاغة العربية في ثوبها الجديد:٤٣

[٥٧]() التوقيعات الأندلسية: ١٢٠.

[٥٨]() ينظر : التوقيعات الاندللسية: ١٢٠.

([٥٩]) جمهرة توقعيات العرب: ٩٦.

[٦٠]() ينظر: المصدر نفسه: ٩٦.

[٦١]() ينُظر: فنون بلاغية البيان–البديع، د.احمد مطلوب، دار البحوث العلمية–الكويت، ١٩٧٥م: ٤٣.

[٦٢]() البلاغة العربية أسسها علومها فنونها: ١٦٨/٢.

([٦٣]) جمهرة التوقيعات: ٩٩.

([٦٤]) ينظر: المصدر نفسه: ٩٩.

[٦٥]() التوقيعات الأندلسية: ١٢٢.

([٦٦]) ينظر:المصدر نفسه : ١٢٢.

[٦٧]() ينُظر: علم البيان: ٨٩.